القلعة

مسرحية بقلم نديم خشفة

تقول الاسطورة :

« ان قلعة حلب بناهـــا مهندسان شقيقان ، حرم الملك عليهما اللقاء قبـل انجازها . فافترقـا شابين ، ولما التقيا ، كان الشيب قد ثلج شعرهما ، .. وقلبهما أيضا » .

الاشخاص :

المهندس راغب (الشيخ)
المهندس صافي
الملك آشور
الوزيـر
الدليل
روبير . جونز . مسز جونز (زوجته) سياح
العجوز . الزوج (زوجها)
مساعدون . فعول . حرس . رسول . خطيب .

المشهد الاول

« قبو ضيق ، سقفه من اليمين واطيء مقوس ، يتسع عند اليسار ويرتفع سقفه ارتفاعا لا يسمح برؤيته . في الصدر درج حجري ينتهـي بباب من الخشب ، هو المدخل الوحيد الى القبو . الجو معتم وتفـوح منه رائحة العفن . الارض متربة والجدران رسمت عليها الرطوبة بقعـا لا شكل لها . الشمس تدخل من كوة في السقف عليها شبك حديدي . ظل الشبك يسقط على الجدار . تستخدم هذه الكوة للتعبير الضوئي .. تسمع ضجة حديث وضحكات ، أصوات مفاتيح ، ثم ينفرج الباب ».

الدليل ـ تفضلوا .. تفضلوا ، ليتفضـل مـن يحـب الدخول . انتبهوا .. الدرج على اليمين . استندي الى الحائط يـا مسز جونز ، الدرج ماله درابزون .

مسز جونز ـ (وصلت الى اخر الدرج) أوه ، قدمي تفوص واظن الكعب انكسر .

جونز ـ قلت لك غيري الحذاء .. لا افهـــم كيف تزورين الاثـار بالكعب العالي !!

مسز جونز ـ ما كان عندي وقت .. لم تنتظروا حتـــى افتـــح الحقيبة ، أوه .. اسندني شوي (تعالج الكعب) .

جونز ـ استندي الى الحائط .

مسز جونز ـ الا تراه وسخا !! سيفسد العفن ملابسي .

جونز ـ طيب .. خلصيني .

العجوز ـ اين انت يا عزيزي ؟

الزوج ـ انا هنا .. الا تريننـي ؟!

العجوز ـ وهل تحسبني قطة حتى أرى في هذه العتمة ؟!

الزوج ـ يبدو انك نسيت النظارات مرة ثانية !!

العجوز ـ الا تراها على عيوني ؟

الزوج ـ (يقترب ، يغطي فمه ويضحك) هذه نظارات الشمس .

العجوز ـ يوه ! ! ولكن لا تضحك بهذه الطريقة ، كلما ضحكت .. بهذه الطريقة .. تذكرت ..

روبير ـ (يتجول في انحاء المكان ، يقرب وجهه من الجدران كأنـه يشمها) اقسم انها تعود الى الاف الاعوام . شيء رائع ان تجد نفسك في مكان بني من خمسة آلاف سنة . هذه هي المتعة من مشاهدة الآثار .

الدليل ـ (يصفق) ايها السيدات والسادة ! هيئوا اذهانكـم واحذر الذين يعانون من ضغط القلب ، الاحسن ان ينتظروا خروجنا . لست مسؤولا عما يحدث لمن تؤثر فيهم المفاجآت .

اصوات ـ أوه ، رائع . ماذا قال ؟ اسمعوا .

مسز جونز ـ فهمنا .. فهمنا ، انت موظف فـي دائرة السياحة ولست تابعا لمؤسسة دفن الموتى .. (ضحك) .

الدليل ـ قصدي .. يعني ، ما كان قصدي اخوفكم ، ولكن الاوامر تقضي .. في احد المواسم لم نكد نلفظ كلمة « حبس الـدم » حتـــى سقط اربعة موتى .

مسز جونز ـ ولكنك ترى .. لفظتها ولم يسقط احد منا .

روبير ـ اذن هذا حبس .. حبس ، حبس ايش ؟

الدليل ـ (يستظهر بلهجة رتيبة) نحن الان في السجن القديم ، ولا يعرف بالضبط تاريخ بنائه ، ولكن يعتقد انه اقدم قبو فـي القلعة بسبب موقعه العميق . واستخدم منذ عهد الآشوريين سجنا للاسرى . وكانوا يتركون فيه السجناء حتى يموتوا بلا طعام ولا شراب . وقد بنـي بعيدا عن الجناح الملكي لئلا تصل الى الملك اصوات الموتى والمحتضرين .

العجوز ـ أوه .. يا للقسوة !!

روبير ـ حسه رقيق حقا .

الدليل ـ .. وكان الذين حكم عليهم بالاعدام يرمون من هذه الكوة الى الارض . فان كان حظهم سيئا ولم تكسر اعناقهم ، ظلـوا ايامـــا يصرخون وينبشون الارض والجدران وهم يعانون من آلام فظيعة ..

العجوز ـ أوه .. الجو خانق هنـــا .. ساعدني عـــلى الخروج يـا عزيزي .

الزوج ـ لا أراه خانقا على الاطلاق .. ثم ترين ان الهواء يدخـل من هذه الكوة .

العجوز ـ لا تعد الى ذكر الكوة .. يكاد يغمى علي .

الزوج ـ انتظري شوي لنفهم ما يفعل الاسرى .

العجوز ـ اوه .. سأخرج وحدي .. دعني سأخرج وحدي .

الزوج ـ (يساعدها) طيب اطلعي .

روبير ـ أليس عارا ان نطلع الى القمر ونساؤنا يعجزن عن طلوع سبع درجات ؟ !

العجوز ـ (في اعلى الدرج) هل تظن الذين طلعوا القمر مثلك ؟ اشتهي اشوف القمر وانت تطلع له .. سينكسف من طلعتك .. نعـــم سينكسف .. أوه .. ساعدني يا عزيزي (تغلق الباب بعنف) .

روبير ـ المرأة لا تفقد سلاطة لسانها حتى ولو كانت في النـــزع الاخير . (تحدق فيه مسز جونز فيهرب من نظراتها) .

الدليل ـ (منتصرا) ألم أقل لكم ؟ القلوب الضعيفة لا يمكنهـــا التحمل .. صحيح ان القوة البشرية تتراجع . انها لمجرد لفظ كلمـــة « حبس الدم » كاد يغمى عليها . فما بالكم بالذين حكم عليهم ان يقضوا عمرهم كله بين هذه الجدران الرهيبة !!

روبير ـ ولكنك قلت انهم يموتون بسبب السقوط من السقف .

الدليل ـ بعضهم يموت ، وبعضهم يقاسون من الآلام ولكن لا يموتون ..

روبير ـ كيف ؟ هذا ..

الدليل ـ ما تركتني أكمل كلامي .

روبير ـ مستحيل ان يعيشوا بعد السقوط .

الدليل ـ قلت لك انهم ..

جونز ـ أوه ، اتركه يكمل كلامه (صمت) .

الدليل ـ تفضلوا .. تفضلوا ، ليتفظل من يحب الدخول . ويتحطم عموده الفقري أو ..

روبير ـ الى اخره ، الى اخره ..

الدليل ـ لا بد ان يجد واحدا ممن سبقوه .

روبير ـ طبيعي .. طبيعي .

الدليل ـ طيب .. فيتحامل على نفسه ، ويجر رجليه المكسورتين، او يسند عموده المتحطم (بصوت أجش) ويفتح فمه وينهش بأسنانه لحم الميت الذي سبقه (صمت متوجس) .

روبير ـ ولكن .. ليس دائما .

جونز ـ مستحيل .. أقول لك مستحيل .

الدليل ـ كيف مستحيل ؟ هذا ثابت تاريخيا ولا يمكن الجدال فيه.

مسز جونز ـ صحيح ، ممكن .

جونز ـ كيف ممكن . هل تصدقين كل ما يقال ؟

مسز جونز ـ ولماذا الكذب ؟ لا شيء يدعوه لان يكذب .

جونز ـ انا اعلم انك لم تصدقيه ولكنك تحبين معارضتي على طول الخط .

الدليل ـ اكتشفنا هنا وثيقة تؤكد ما اقوله لكم . حفرها احد المساجين على الجدار قبل ان يفارق الحياة . وهذه الترجمة الحرفية لها (يقرأ من النشرة) .

.. انا « راغب بن جامش » مهندس الملك آشور ، اتهمت بجريمة لم ارتكبها وسجنت حتى مت مظلوما .. واشهد فوافل السجناء من جيلنا ومن الاجيال القادمة ، سواء كانوا قتلة سفاحين او شهداء بريئين ـ ان قلبي لم يطاوع يدي ، وقد اردت شيئا ولكن ارادة اقوى نفذت ما تريد .

روبير ـ آه .. كلام عميق .

جونز ـ كلام غامض لم افهم منه شيئا .

مسز جونز ـ انصت يا عزيزي حتى تفهم ما يقول .

الدليل ـ هذا ما كتبه مهندس الملك آشور بعد ان سجن هنا ، ولكنه ظل حيا اربعة شهور .

روبير ـ هل قال هذا ؟

الدليل ـ لو نظرنا الى تاريخ الوثيقة وقارناه بالتاريخ الذي القي فيه من السقف لعرفنا تماما انه عاش على لحوم المساجين اربعة شهور.

مسز جونز ـ أوه ، السفاح .. ماذا يرجو من الحياة ؟

(شبح من الناحية اليمنى يتقدم .. ملابسه تاريخية) .

الشبح ـ حقا .. هذا ما كنت أسائل به نفسي : ماذا ارجو من الحياة ؟

اصوات : دعونا نهرب .. انتظروا سأقتله ان تقدم .. لا تخافوا انه لا يؤذي .

الدليل ـ هل .. هل تسخر مني ؟ اختبأت هنا لتسخر من مديرية الاثار ؟ هل تعرف عقوبة هذا العمل ؟

الشبح ـ اعرف عقوبته .. أنا اعرف عقوبة كل الاعمال ، واعرف العقوبة بلا عمل .

مسز جونز ـ هل أنت موظف هنا ؟

الشبح ـ (ينحني) عفوا يا سيدتي ، لم اقدم لك نفسي . لست مسجلا في ديوان الموظفين ، ولكن هنا مكان اقامتي .

مسز جونز ـ تسكن هنا ؟!

الشبح ـ اسكن ولكن غصبا عني .. رميت من هذه الكوة من خمسة آلاف سنة ولم اتمكن من الخروج حتى الان .

جونز ـ اذن انت واحد من الاسرى .

الشبح ـ الاسرى ؟ هذه هي الكلمة المناسبة .. كنت اسيرا . اسرني فكرة ولم تطلق سراحي .

روبير ـ أوه .. كلام عميق .

جونز ـ لا افهم منه شيئا .

مسز جونز ـ انصت يا عزيزي حتى تفهم ما يقول .

(روبير يعد آلة التصوير)

الدليل ـ التصوير داخل المتاحف ممنوع يا مسيو ...

روبير ـ لا اصور الاثار .. اريد ان اصور هذا .

الدليل ـ ولكن من الاثار .

روبير ـ لا .. غلطان (يغير مكانه ليختار زاوية مناسبة) .

الدليل ـ لا يمكن اسمح لك . هذا اعتداء واضح على قوانين السياحة .

روبير ـ لتذهب قوانين السياحة الى الجحيم .

الدليل ـ (كمن تلقى صفعة) أوه ! !

جونز ـ قال لك : ما هو من الاثار .

الدليل ـ هل تريد أن تعلمني وظيفتي ؟!

جونز ـ اسأله لتتأكد انه ليس من الاثار .

الدليل ـ (يمسح الشارة المعدنية على صدره . يقترب من الشبح خائفا) عفوا يا سيدي ! تسمح تقول لي من انت ؟

الشبح ـ هذا ما كنت اوضحه للسيدة منذ قليل .

مسز جونز ـ قال انه ساكن هنا من خمسة آلاف سنة .

الدليل ـ أرأيتم هو من الاثار .. والتصوير ممنوع .

روبير ـ (للشبح) هل تعني يا سيدي انك تابع لادارة السياحة ؟

الشبح ـ تابع .. تابع .. تابع (يتذوقها بلهجات مختلفة) نعم تابع . مرة واحدة تبعت الاخرين فاصبحت تابعا الى الابد .

الدليل ـ اغلقوا الات التصوير اذن ولنتابع الجولة .

مسز جونز ـ انتظر نفهم منه الحقيقة .

الدليل ـ ماذا تريدين غير ذلك ؟ قلت لك حقيقته وهو مهندس الملك آشور (يهمس) وقد ارتكب جناية . هل فهمت لماذا اريد الخروج؟

مسز جونز ـ اذن انت مهندس .

الشبح ـ كما قال .. مهندس الملك آشور .

مسز جونز ـ هندست هذه القلعة ؟

الشبح ـ هندست قلاعا كثيرة ..

مسز جونز ـ أوه ، اشهد انها رائعة ، رائعة جدا .

الشبح ـ يا للاسف .. هذا ما اعتقدته انا ايضا .

مسز جونز ـ لا تؤاخذني اذا سألتك : هل انت متزوج ؟

الشبح ـ لا .. لم اتزوج .

مسز جونز ـ افهمك .. انصرفت الى مشاريعك ولم تفكر بالزواج.

الدليل ـ (على انفراد لجونز) قلت لك انه مجرم .. ولست مسؤولا عما يحدث لزوجتك .

جونز ـ (يشدها من ذراعها) هيا نخرج .. تأخرنا كثيرا .

مسز جونز ـ انتظر يا عزيزي .. قال انه لم يتزوج .

جونز ـ أوه .. لا يهمني ما يكون .

مسز جونز ـ تصور انه لم يتزوج وهو مهندس الملك .. خيالي ، خيالي ! !

جونز ـ امنعك من التحدث مع أي مهندس ، خاصة اذا كان اعزب من اربعة ، خمسة آلاف سنة .

روبير ـ (يعد آلة التصوير ثانية) مسز جونز ، ابتعدي شوي .

الدليل ـ قلت لك التصوير ممنوع . ما هذا النهار الاسود يا ناس ! !

روبير ـ لا تريد ان تتعرف اليه لئلا يفضحك .. مفهوم ، مفهوم.

الدليل ـ ما هو المفهوم ؟ قلت لك (من بين اسنانه) انه سفاح ولست مسؤولا عما يحدث لكم .. مفهوم ؟؟

روبير ـ لا يبدو عليه أي شيء مما تقول .

الدليل ـ ولكن النشرة .. هل تكذب النشرة . اتعرف عقوبة من يكذب نشرة مديرية الاثار ؟؟

الشبح ـ اعرني هذه النشرة (يقرأ) هيه .. غريب !! هكذا وصلت اليكم حكايتي اذن . انا هنا سفاح وآكل لحوم الموتى (للدليل) هل ترى على اصابعي اثار دم يا سيدي ؟

الدليل ـ لا ارى .. لم اعد أرى .

جونز ـ طبيعي ان يجف بعد مرور خمسة آلاف سنة .

الشبح ـ دم الجريمة لا يجف ، الجريمة لا يجف دمها .

روبير ـ صحيح .. هذا حق .

الدليل ـ ولكنها ماتت وجف دمها ، وهي الان من الاثار . انت نفسك تابع لمديرية الاثار .

مسز جونز ـ لا تجادله .. لن تعرف الامور احسن منه . لقد عاصرها ولا يمكن ان ينسى حياته .

روبير ـ اسمح لي أسألك سؤالا محددا : هل أنت قاتل ؟

الشبح ـ أنا ؟ (يفكر) ربما كنت بريئا-كطفل . وربما كنت قاتلا للايين البشر .

جونز ـ أوه ، كلام متناقض .

مسز جونز ـ دعه يا عزيزي يكمل كلامه . قال لك ربما ..

الشبح ـ لقد تداعت الامور هكذا كخيول السباق . الفكرة الاقوى تدفع صدرها الى المقدمة . تجري بلا ارادة تقودها سوى ارادة اثبات الذات . ولكن .. لنبدأ من الاول . ان الاشياء تتعقد فلا يكون لها اخر اذا لم يكن لها اول (يسكت) هل قلت لكم ان البداية خالفت النهاية ؟ حسنا .. هكذا كان . ولكن تفضلوا . خذوا راحتكم .. اذا بقيتم واقفين فلن تستمتعوا بالحكاية .

(يجلسون متتابعين الى الحائط ، كأنما نومهم كلامه ، يغيب بالتدريج حتى نسمع صوته دون ان نراه) .

رويت قصتي آلاف المرات خلال آلاف الاجيال ، فنسيت بعض الحوادث سهوا ، واهملت بعضها الاخر عمداً ، ولكن لا انسى البداية. هل انسى شبابي ؟ نعم .. كان لي شباب . لان الشيوخ لا يولدون بشعر ابيض ، وعيون غائرة تدمع ، ووجوه متجعدة سائلة الجلد . وكانت لي احلام الشباب وآمال الشباب . كانت لا يسعها الوجود لانها تسعى الى اخضاع الوجود . لكن .. ماذا يفيد الكلام عن امور مرت عليها آلاف الاعوام ؟

المشهد الثاني

« راغب جالس امام طاولة الرسم يدخن وهو يفكر . يدخل صافي .. »

صافي ـ ألم تنته من مشروعك بعد ؟

راغب ـ (يلقي اليه باهمال ورقة ملفوفة) خذ . اتسمي هذه القنطرة مشروعا ؟

صافي ـ (ينظر فيها) ايه .. حسبت المقاومة ولم تنتظرني .. اعترف لك انك نشيط ، نشيط جداً .

راغب ـ جسور وقناطر وخزانات ومجار ... في مثل هذه التفاهات يضيع عمرنا .

صافي ـ ماذا تتوقع ان تهندس للناس اذن ؟ جسور الى القمر ؟ نحن نفعل ما يحتاجه الناس ، وهم يحتاجون الى خزانات ومجار.

راغب ـ لا تؤكد لي ذلك . اعرف اننا دائما تحت الطلب . لم نحاول يوما ان نتمرد .. ان ننجز مشروعا لا يطلب المتعهد خريطته خلال اسبوع .

صافي ـ المشاريع الكبيرة تحتاج الى خزائن كبيرة ايضا (يدنو) أوه ، ما هذا ؟

راغب ـ مشروع كاسد لم يطلبه احد . مشروع خرده سأبيعه بالكيلو .

صافي ـ هل هذه مدينة ؟ هل تحلم ببناء مدينة ؟

راغب ـ نعم أحلم . هكذا نحن ، نحلم بقصور ومدن ، مدن فاضلة ومدن عاهرة ، ثم لا نبني الا .. المجاري .

صافي ـ (يربت على كتفه مداعبا) ايه ، ايه . قل لي ماذا تنوي يا اخانا العبقري الصغير ؟

راغب ـ مدينة كما ترى .

صافي ـ انتهيت منها بهذه السرعة . ولكن حجارتها ضخمة ، الا تراها كبيرة قليلا ؟

راغب ـ أردتها كبيرة لتكون راسخة ولا تحتاج الا الى صقل جيد لتنطبق الواحدة على الاخرى ، دون حاجة الى وساطة .

صافي ـ تمنع الهواء من التخلل بينها ؟

راغب ـ هذه هي الفكرة .

صافي ـ ومن ينقل لك قطع الجبال ثم من يصقلها ؟

راغب ـ اظنها فكرة مبتكرة لم يتنبه اليها الاوائل ، هذه النظرية تعتمد على .. (يرمي يديه يائسا) ولكن لماذا اشرح ؟ ما فائدة ذلك كله؟

صافي ـ الفائدة !! هل مللت البحث العلمي ؟

راغب ـ لا ولكن مللت الدروشة العلمية . نقول اشياء رائعة ، رائعة .. ولكنها تولد وتموت في هذا الجحر الكئيب .

صافي ـ هي حية في عقولنا .

راغب ـ اريد ان اراها شامخة امامي في كبرياء ، عملاقة تتحدى قوى الطبيعة . جالسون في وكرنا نمضغ الكلام ولا نفعل شيئا .

صافي ـ فعلنا اشياء كثيرة ..

راغب ـ بلاليع كثيرة !!

شعر

من منشورات دار الاداب

		ق. ل
● الاعاصير	للشاعر القروي	٣٥٠
● وجدتها	لفدوى طوقان	٣٠٠
● وحدي مع الايام	» »	٣٠٠
● اعطنا حبا	» »	٢٥٠
● ابيات ريفية	لعبد الباسط الصوفي	٣٠٠
● في شمسي دوار	لفواز عيد	٢٠٠
● الفجر آت يا عراق	لهلال ناجي	٢٠٠
● المشانق والسلام	لعدنان الراوي	٢٠٠
● حداء وغناء	لخالد الشواف	٢٠٠
● عاشق من افريقيا	لمحمد الفيتوري	٢٠٠
● احلام الفارس القديم	لصلاح عبد الصبور	٢٥٠
● اقول لكم	لصلاح عبد الصبور	٢٥٠
● فلسطين في القلب	لمعين بسيسو	٢٠٠
● كلمات فلسطينية	لحسن النجمي	٢٠٠
● بيادر الجوع	للدكتور خليل حاوي	٣٠٠
● سفر الفقر والثورة	لعبد الوهاب البياتي	٢٥٠
● الناس في بلادي (ط. جديدة)	لصلاح عبد الصبور	٢٥٠

صافي ـ نويت ان نشترك مع المتعهد في تنفيذ ..

راغب ـ نويت ، نويت .. الاعمال بالنيات الا في العلوم : الاعمال بالتنفيذ . نظريتي هذه ستعيد للعمران سابق مجده ، وسوف يسكن الناس في بيوت لا تبليها الايام . تصور انك جالس الان في بيت جدك العاشر . ألن تشعر بالاستقرار والتلاؤم ؟

ان الامن هو أساس الحضارة . سوف تحس بأن خيط التاريخ متصل بينك وبين الانسان الاول ، وهذا الامن هو الحافز الى العمل . حينئذ .. تخف حدة الثورات الشعبية او تزول . ويرضى الناس عن زمانهم وحكامهم ، وتحل ارادة التغيير الهادىء محل التغيير الصاخب العنيف .

صافي ـ أوه .. نظريتك هذه ستمنع سفك الدماء ؟!

راغب ـ كما اقول لك . لو احسن استخدامها لكانت فردوسا ، فردوسا حقيقيا .

صافي ـ هل تنتهي الحروب لان كل مواطن له بيت عتيق سكنه جده العاشر ؟ !

راغب ـ هذا جانب من التطبيق . فلو بنينا مدينة بهذه الطريقة ، ثم حفرنا حولها خندقا واحطناها بسور متين فلن يطمع بها الغزاة ، وسيتركونها تبني الحضارة كما تريد .

صافي ـ هذه ليست مدينة ، انها قلعة .

راغب ـ لتكن قلعة . اسوارها عالية تنطح السحاب ، وحولها خندق مملوء بالماء وفي داخلها مرافق الحياة كلها .

صافي ـ والحصار ؟ ماذا تفعل اذا حاصرها الاعداء ؟

راغب ـ سيكون لها سرداب طويل يمتد الى الريف حيث تأتيها المؤونة والنجدات .

صافي ـ سرداب يمتد الى الريف ؟ مستحيل ..

راغب ـ (ينشر الخريطة) ليس مستحيلا . رسمتها وقدرت التكاليف .

صافي ـ هيه .. السرداب متدرج وفيه محطات استراحة، ومناطق حراسة .

راغب ـ اظنك اقتنعت الان بجدوى هذه القلعة ؟

صافي ـ لا عيب فيها الا انها : في الهواء .

راغب ـ ماذا تعني : في الهواء ؟!

صافي ـ انها قلعة في الهواء العليل ، تفكر فيها العقول ، ولا تحفر اساسها المعاول ولا تبني اسوارها الرجال .. وهي فوق ذلك غالية التكاليف .

راغب ـ ولكن فائدتها اضعاف تكاليفها .. انها ستمنع الحروب وسفك الدماء .

صافي ـ لتكن موضوعيا يا اخي ، ولا تفرنك الاحلام ؟

راغب ـ ليست احلاما .. اذا امتلك كل معسكر قلعة حصينة كهذه القلعة ، فسوف ييأس الملوك ، ولا يجدون جدوى من القتال والحصار ، فيسرحون الجيوش ويستخدمونها في الزراعة والصناعة وفي كل نافع للانسانية .

صافي ـ هذا رخاء لا شك فيه .

راغب ـ ... واذا اشبع الانسان حاجات بدنه في ساعات من النهار فلا بد له من التفكير بعد ذلك .

صافي ـ سيكون جميع الناس مفكرين !!

راغب ـ سيكونون بشرا يرتفعون بعقولهم عن الحيوانية .

صافي ـ آه ، نواياك طيبة جدا .

راغب ـ ان تنفيذ هذا المشروع سيحرر الانسان ويرفعه الى المرتبة التي يجب ان يكون عليها منذ قرون .

صافي ـ شيء نافع ، مشروع رائع . ولكنك لن تجد من ينفق على بناء قلعتك هذه .

راغب ـ ليت الدولة تصغي الي .

صافي ـ الدولة . انها غنية .. ولكن الملك آشور مشغول الان بمشروع اخر . اعلن انه سيبني قلعة من جماجم الاعداء .

أرأيت ؟ لست المهندس الوحيد في هذه المدينة .

راغب ـ سيبني قلعة ؟

صافي ـ ويحيطها بخندق من الدماء .. أرأيت الخدمات التي يؤديها الى البشرية ! !

راغب ـ اذا عرضت المشروع عليه وشرحت له الفائدة ، فربما اقتنع به .

صافي ـ سيقتنع به اذا كان وسيلة الى اذلال جيرانه من الملوك .

راغب ـ واحسب انه ينفذه .

صافي ـ لا اظنك جادا في قولك . بعد ان قتل سنمار !! افضل ان اتعامل مع لص ولا اتعامل معه .

راغب ـ ان سنمار مغرور .

صافي ـ ولكنه مهندس بارع . كنت اقول له : الملوك لا يؤمن جانبهم . فأبى ان يسمع نصحي . كان يحب مشروعه وقد قتله هذا الحب .

راغب ـ ان مشروعي يختلف .

صافي ـ اما آشور فواحد لا يتغير (صمت)

راغب ـ والزمان يمر .. والعمر ينقضي . ما جدوى حياة تموت تحت ركام هذا الكهف ؟ اخترعت ، رسمت ، ألفت .. لا احد يدري بي . لا احد يلتفت الي . الا يحق لي أن ارى مخلوقاتي تعيش ؟ انها تولد فأحنطها في الخرائط بعد شهور و ..

صافي ـ .. وتكتب عيها : هنا ترقد بسلام مشاريع المهندس راغب بن جامش وشركاه .

راغب ـ هل تسخر ؟

صافي ـ وانا ، ألست مثلك ؟ ولكن يجب أن نكون عاقلين ، انه آشور .

راغب ـ ليكن الشيطان نفسه . أشتهي أن أرى القلعة قائمة أمام بصري ، ثم ليفعل بي الشيطان ما يشاء .

(قرع على الباب)

صافي ـ (يفتح) ماذا تريد ؟

رسول ـ مولاي الملك يدعوكما للمثول بين يديه .

صافي ـ الملك آشور ؟!

رسول ـ وأرى لكما أن تعجلا في الحضور (ينصرف) .

صافي ـ آشور !! انه الشيطان الذي كنت تستدعيه لتهب له حياتك .. ماذا يريد منا ؟

راغب ـ ماذا يريد ملك من مهندسين ؟ سنبني له حائطا او نحفر خندقا .

صافي ـ أخشى أن يكون سمع بأمر الرافعة .. سيجبرنا حينئذ على استخدامها في هدم الحصون .

راغب ـ ما رأيك أن أعرض عليه مشروع القلعة ؟

صافي ـ كما تريد ، انما ...

راغب ـ لقد طال ما استخدمنا في مشاريعه ، فدعنا نستخدمه مرة واحدة .

صافي ـ ولكنه رجل حرب .

راغب ـ سأشرح له فائدتها الحربية أيضا .

صافي ـ كن حذرا .. انه داهية .

راغب ـ طبعا ، طبعا .. مشروعنا العلمي فوق كل اعتبار .

المشهد الثالث

« قصر الملك اشور . الملك جالس على كرسي مرتفع ويبده مروحة . الوزير »

آشور ـ قلت لك أن تنصب عرشي على الماء . جسدي يتلهب ولا يطفئه الا الماء . ولكنك بئس الوزير لا تعمل على راحتي .

الوزير ـ هذا القصر أقل حرارة من الجحيم .. كما أرى .

اشور ـ الجحيم !! هل الجحيم الا صاحب بليد ؟ هنالك كنت أجد صحبة مسلية ، ينسيني حديثهم ما أنا فيه من العذاب .

الوزير ـ بالامس فقط ، رجعت جلالتك من معركة ظافرة . انك تعيش الحوادث المسلية بنفسك ، ولا حاجة بك للسامرين .

اشور ـ بدأت أسأم هذه اللعبة .. اهجموا ، اقتلوا ، اسلخوا الاجساد ، اقشروا الرؤوس !! أقول لك بصراحة : أخذت أشعر بالهانة امام الرفاق الاخرين . مهنتنا هذه لا تدل على غير البلادة .

الوزير ـ البلادة ؟! هذه عبقرية . ليس من السهل أن تهزم جيوشا بأكملها في معركة واحدة .

اشور ـ أية عبقرية في أن تحمل بلطة وتفلق بها رأسا بشريا ؟ انها منتهى البلاهة . اني أشم رائحة مؤامرة تدبر ضدي .

الوزير ـ هل تشك في اخلاصي يا مولاي ؟

اشور ـ أنت لا تقدر مواهبي حق قدرها ، فلا تهيىء لي عملا تظهر فيه عبقريتي على حقيقتها .

الوزير ـ عندي لك اليوم مجموعة من الاعمال المثيرة .

اشور ـ اقرأ جدول الاعمال ، لنرى ...

الوزير ـ راهب ارثوذكسي انشق عن الكنيسة وانتحى في صومعة الجبل يعبد الله على طريقته .

اشور ـ وماذا تريدني أن أفعل به ؟

الوزير ـ كنت أظنك تريد رده الى الكنيسة ، أو تفتنه عن طريقته هذه .

اشور ـ دعنا من هذه اللعبة الخاسرة . يقاوم قليلا ثم ينهار .. غيرها ؟

الوزير ـ مدير التموين .. يشتري مؤونته من السوق بثمن التسعيرة رغم وجود أكياس السكر والطحين تحت تصرفه .

اشور ـ هل أغراه أحد منكم ؟

الوزير ـ أغريناه طويلا ولم نفلح معه .

اشور ـ حولها لاحد مساعديك ، وأوصه بالتأثير فيه عن طريق زوجته .

الوزير ـ ثم هناك .. امرأة القاضي .

اشور ـ أوه .. دعنا من النساء .. أريد قضية ضخمة تشيع بها شهرتي . كفاني ما لقيت من سخرية الاخرين . انهم يحولون شعوبا بأكملها عن سبيلها ، وأنا البائس .. ألهث وراء زوجة القاضي وموظف التموين .

الوزير ـ حسنا .. (يقلب الدفتر) عندي لك قضية تستحق المعالجة حقا .. رجلان في لقمة واحدة .

اشور ـ (يتلمظ) رجلان معا ؟ هل هما من اولئك السكيرين ؟

الوزير ـ لا يا سيدي . نوع جديد .. انهما عالمان .

اشور ـ علماء ؟! لم أتعامل مع هذا الصنف من قبل .

الوزير ـ كيف يا مولاي !! والدكتور « فاوست » هل تنساه ؟

اشور ـ هذا الابله .. لم يستطع أن يزور امضاءه . لو كنت مكانه فماذا تفعل يا وزير ؟

الوزير ـ أنا ؟ كنت .. كنت أهرب .

اشور ـ تهرب ؟ لو كنت مكانه لاكلت ورقة العقد ثم تجشأت بعد ذلك .

الوزير ـ وأنى له مكر مولاي الملك !!

اشور ـ أعترف لك انه عميل شريف .

الوزير ـ لكن علماء هذه الايام طوروا مفاهيم الشرف .

اشور ـ كذلك يجب أن نطور أسلوب المواثيق .. لن أقنع منهما بقطرة دم فاسد على قرطاس قديم .

الوزير ـ أرى أن تستحلفهما بالاله الذي يعبدانه .

اشور ـ الاله ؟ أعرف اله العلماء .. لما جسوه بأصابعهم فلم يجدوا له شحما يؤكل ، قالوا : غير موجود .

الوزير ـ اذن استحلفهما بشرف المهنة .

اشور ـ لست المغفل الذي يخدع بهذه الالاعيب . لن اتعامل بعد الان بالدين ، سآخذ الثمن نقدا وبلا ابطاء .

الوزير ـ هذه أسلم وسيلة .

اشور ـ أليس في هذه اللعبة امرأة ؟

الوزير ـ آسف يا مولاي .. هما من العلماء الذاهلين ، شغلهما البحث حتى لقد نسيا أن يتزوجا .

اشور ـ ولم تذكرهما بذلك ؟ لا تحسب اني لن أضيف هذا الى اضبارتك .. عالمان ينفقان عمريهما في البحث وأنت تنظر اليهما لا تحرك ساكنا ؟!

الوزير ـ أنا لا أحرك ساكنا ؟! انتظرت حتى نضجت الثمرة يا مولاي . أعرف جلالتك لا تحب الثمار العجرة .

اشور ـ (ضاحكا) آه .. يا خبيث ! أحضرهما الي فقد أثرت شهيتي .. العلمية .

الوزير ـ أرسلت اليهما منذ ساعة .

(يدخل رسول)

رسول ـ المهندسان يا مولاي .

اشور ـ أدخلهما .. لنرى .

(يدخل المهندسان)

الوزير ـ دعاكما مولاي الملك ليعرف ما انتهى اليه علمكما بعد انقطاع ثلاثين سنة للبحث النظري .

اشور ـ ثلاثين سنة بلا عمل ؟ هذا تفريط لا أرضاه لاحد من المواطنين .

الوزير ـ بل كانا يعملان يا مولاي .

اشور ـ وهل الجلوس في البيت واغلاق النوافذ والابواب يدعى عملا ؟

الوزير ـ كانا يبحثان ، يحضران مشروعا لا أشك في روعته ، فهما من المواطنين الذين عرفوا باستقامة السيرة والاخلاص لعرش جلالتكم .

اشور ـ إيه .. أرياني اذن . ان البيضة التي جلستما عليها ثلاثين سنة لا بد أن تفقس عن ديك عجيب .

راغب ـ بل عن نسر هائل بارادة مولاي .

اشور ـ نسر ؟ هل اخترعت شيئا يطير ؟ سيساعدنا هذا على نقل المؤونة الى كتيبة حوصرت في سمرقند .

راغب ـ انها قلعة .

اشور ـ قلعة ؟! تنقطع ثلاثين سنة عن الدنيا ثم تأتي لتقول : اخترعت قلعة ، على قلة القلاع عندنا ؟!

راغب ـ (مضطربا) انها .. ليست ، ليست كهذه القلاع .

اشور ـ واي غبي يجهل كيف تكون القلعة ؟ سور وأبراج وخندق وحراس .. عندي سبعون قلعة ، أربعون منها في حالة حصار .. قل لي ماذا تفعل في حالة الحصار ؟

راغب ـ مشروعي متكامل ولا يمكن مناقشته بهذه الطريقة .

الوزير ـ لعلها نوع حديث من القلاع يا مولاي !

راغب ـ ليست نوعا حديثا فقط ، انها ثورة .. ثورة في هندسة القلاع . ستمنع نشوء الحروب وسفك الدماء . الارض كلها أصبحت في حالة حصار ولن ينقذها الا مشروع شامل كهذا المشروع . لقد آن للطبول التي تدق رقصات الحرب أن تبدل نغمتها الى رقصات العودة للديار ، وآن لكل المتحاربين أن يكسروا سيوفهم ويصهروها مناجل ومعاول ومحاريث .

الوزير ـ وهذا ما يسعى اليه مولاي اشور .

راغب ـ والاخرون يسعون ايضا . والنتيجة : مزيد من الحروب، مزيد من الدماء .

الوزير ـ كل الاخرين على باطل . الحق معنا وينبغي لـك أن تناصره .

اشور ـ لا أدري كيف أفسر ضعف الشعور القومي لدى المهندسين هذه الايام !!

الوزير ـ ربما كانت نوعا من العدوى . هل صافحتما سنمـــار قبل أن يموت ؟

اشور ـ لا يمكن ان تكون عدوى ، سنمار مات دون أن يلامسـه أحـــد .

صافي ـ (يتبادل نظرة مع راغب) اسمـــح لي يا مولاي ! ان حماسة أخي الشديدة منعته من عرض مشروعه بهدوء . هذه القلعة مشروع متطور ، لم يقصد لذاته بل لما ينتظر منه من نتائج ، أستطيع أن أقول : انها باهرة . أنظر الى أسوارها ما أعلاها !!

اشور ـ حقا .. عالية جدا .

صافي ـ صممناها بحيث تكون قريبة من القمر ، فلو ألهبت حصانك لوثب بك الى القمر في قفزة واحدة . ومن كانت له رجـل في القمر ورجل على الارض فقد ضمن السيطرة على الكوكبين معا هذه القلعة تمنع الحروب ، كما قال .. ولكن حين تعجل بالنصر .

اشور ـ آه .. تعني ان المنتصر يقول : كفى ما أريق مـــن الدمـــاء !!

صافي ـ تماما .. هذا ما قصد اليه .

راغب ـ لم أقصد لان تكون وسيلة الى الشر .

اشور ـ وأي شر في حماية الحق ؟ ان الحق يظل باطلا حتـى تناصره القوة . وان كنت تظن القوة نوعا من الشر فأنصحك أن تفت خرائط المشروع في صحن شوربا ، وتأكلها حين تحس بنوبة مـــن نوبات القوة . يخاف من الحرب !! خوف العجائز من قطـة سوداء . أراهن على انك لا تقص أظافرك في الليل ، ولا تصفر لئلا تجمع عليك العفاريت . يخاف من الحرب !! تريد أن ترتاح ، تموت على فـراشك ومن حولك العجائز يحرقن البخـــور ويقرأن الاوراد (صمت) .. لا أوجه كلامي اليك وحدك ، بل الى كل العلماء من فصيلة الخائفـين ، أقول لكم : أنتم لا تحبون الانسانية . نعم ، يا صغيري المهندس . أنتم لا تحبون الانسان .

راغب ـ كيف ؟ نحن لا نحب الانسانية !! اننا نحن ..

الوزير ـ أوه .. لا تقاطع مولاك الملك .

اشور ـ تسألني كيف ؟ أنتم تعملون على فناء الانسان بأن تمنعوه من الحركة . ومتى يأسن الماء وتفوح رائحته ؟

الوزير ـ .. حين يتحول عن النهر ليسكن في المستنقع .

اشور ـ أنتم تطالبون بانشاء مستنقعات عالية للضعفاء والكسالى والمتواكلين ، تطالبون ببناء تكايا لعبيد المعدة والطعام الدسم ، كـل ذلك باسم السلام .

راغب ـ ولكن .. لا أرى سببا لتعريض الناس للخطر .

اشور ـ بل هناك ألف سبب كلها معقول . وماذا يفعل الخطـر سوى انه يوقظ قوى الانسان ويسمو بروحه وينمي عقله ويدفعه الـى تجاوز واقعه البائس الى مستقبل مشرق عظيم .

الوزير ـ وهل يريد العلماء للانسان غير المستقبل العظيم ؟

صافي ـ تماما .. لا يريدون له غير ذلك .

اشور ـ أرأيت ؟ نحن متفقون على انه يجب ايقاظ هذه الجموع الغافلة ، تزحم الارض كالديدان .

راغب ـ طريقة رائعة لايقاظهم بسيخ محمى من الحديد .

اشور ـ ليس ذنبي اذا كان نومهم عميقا الى درجة المـوت .. ومع ذلك ، ورغم كل هذه المغريات باستعمال القوة ، تراني : أستسلم للضعف البشري .. وأسعى الى السلام .

الوزير ـ أنتما تنقصكما الروح العلمية . ان أي عالم يتمنـى لو يتاح له تنفيذ مشروعه ثم يسأل عما وراء ذلك . ان كانت قلعتـك صالحة ـ وهذا ما سوف نراه ، فانها ستقف شامخة تخلد اسمك بيـن الاجيال ، ترقبها العصور وهي تقول : هذه صنعـــة مهندسي العصر الذهبي من حكم اشور العظيم . هل معك الخرائط ؟ (يقدمها الملك) الق عليها نظرة يا مولاي .

اشور ـ اطمأنا الان اذن !! اه .. ما هذه ؟ تبدو مثل كرنبـة نزعت من جذورها .

الوزير (يكتم ضحكه) حقا ، تشبه الكرنبة ، وهذه اوراقها .

اشور ـ لم تقل انك نباتي أيضا !!

راغب ـ (يلقي نظرة) .. صحيح انها تشبه الكرنبة ، ولكنـك أمسكتها بالمقلوب .. يا مولاي .

اشور ـ اه .. هذه الاسوار ، وهذا الخنـــدق ، والابراج .. ولكن الحصار ، كيف نفعل في حالة الحصار ؟

راغب ـ كل ذلك مدروس على احسن حال . غدا أصنع نموذجا مصغرا وترون امكانياتها .

اشور ـ طيب . طيب . اصنع النموذج . ولكن كم تقدران لهـا حتى يتم البناء ؟

راغب ـ ربما .. عشرين سنة .

صافي ـ اظن اكثر من عشرين .

اشور ـ كما تشاءان . ان عمركما هو الذي يمضي . فكلمـــا أسرعتما كان خيرا لكما (ينحنيان لينصرفا) هل أنتما شقيقان ؟

راغب ـ نعم يا مولاي .

اشور ـ كنتما تعيشان معا كل هذه المدة ؟

راغب ـ نعم يا مولاي .

اشور ـ ولم تفترقا أبدا ؟

راغب ـ لم نفترق يوما واحدا .

اشور ـ رائع .. رائع . أرني هذه الخرائط (ينظر فيهـا) همم .. القلعة دائرية الشكل وهذا يساعدنا . حسنا . ليبدأ كـل منكما من ناحية . فأنت تذهب شرقا وأنت تذهب غربا . فاذا التقيتمـا تكونان قد أنجزتما القلعة .

الوزير ـ أوه . فكرة عبقرية .. عبقرية نادرة !!

راغب ـ ولكن لم نفترق يوما واحدا .

صافي ـ تعودنا أن نعيش معا ، ولا أدري كيف نفعل الان ؟!

راغب ـ هذا الفراق سيؤخر العمل .

صافي ـ لا بد من الاجتماع للتشاور .

الوزير ـ يمكن التشاور بغير اجتماع .

اشور ـ سوف يكون لكل منكما بيت يقيم فيه ، وناد يتردد اليه ، وأتباع يساعدونه في عمله .. وسمره أيضا .

الوزير ـ حياة مثالية لا يحلم بها عالم في عصرنا .

اشور ـ يؤلمني أن تفترقا وأحس بالاسف لذلك . ولكن لا بـد من التضحية برغبات النفس الواحدة في سبيل الانسانية التي نعمل جميعا على انتصارها .

(يشير لهما فينصرفان . صمت .. الملك والوزير يتبـادلان النظر ويبسمان) .

اشور ـ كيف رأيت الامور ؟

الوزير ـ كنت قد أعددت هذا العقد ليوقعاه ، انما .. بعد أن رأيت ما رأيت لا أجد حاجة الى العقود (يمزقه) غير اني ما زلت أجهل كيف تستوفي هذا الدين الباهظ ؟

اشور ـ حين ينهدم ما بنت الثلاثون سنة من الاخاء ، ســوف ترى كيف أصفي حسابي مع هذين الفرخين من تنابل السلام .

المشهد الرابع

« النادي . صورة كبيرة للقلعة على الجدار . صافي وثلاثـة من مساعديه » .

الاول ـ صدرت طبعة المساء من جريدة الورشة الغربية .

صافي ـ سأقرأها من بعد .

الاول ـ كما تشاء ، لكن فيها بعض الاخبار حسبتها تهمك .

صافي ـ هل انتهوا من البرج العلوي ؟

الاول ـ لا يمكن ان ينتهوا قبلنا .. مستحيل .

صافي ـ اذن ؟

الاول ـ (ينشر الجريدة أمام صافي) أنظر هذا العنوان !

صافي ـ متى صدرت ؟

الثاني ـ هذا المساء . ويبدو انهم سبقونا بمتر ، مترين فملاوا الدنيا بالصراخ .

الثالث ـ أكدنا لك يا سيدي ان نواياهم سيئة .. وها أنت ترى صدق ما أكدناه .

الاول ـ كان هذا رأيي من الاول .

صافي ـ لعل أخي لم يقرأ هذا المقال ، فقد كتبه رئيس التحرير .

الاول ـ رئيس التحرير ؟ انه مساعده ويأتمنه على كل اسراره .

الثاني ـ كيف لا يدري به ومقتطفات من أقواله وضعت بين قوسين ؟!

الثالث ـ حقا .. وما بين القوسين أشد من بقية المقال . انتبهتم كيف ركزوا على ناحية معينة ؟

الثاني ـ خطتهم واضحة ، يتهموننا بالعيوب التي فيهم .

الاول ـ والذي غاظهم أشد الغيظ هو اقاننا للعمل . لو لاحظتم انهم ...

صافي ـ (يرمي الجريدة وينهض) لا أدري كيف يسكت أخي على هذا المقال !!

الاول ـ اقرأ يا سيدي هذه الفقرة (يقرأ دون أن ينتظر) :

« .. وان دل هذا التهاون على شيء فانما يدل على رغبة مبيتة في تأخير العمل ، وتأجيل أمد اللقاء ، هذا اللقاء الذي كنا نراه الحافز الوحيد على الاسراع ، والدافع الى الجد ومواصلة الكفاح . ويكمن وراء هذه التصرفات الحمقاء حقد مبعثه شعور بالنقص ، وقد أنتج هذا الشعور كراهية صرفتك عن لقيا أخيك ، ففدوت لا تحب أن تراه لما يعتمل في نفسك من وساوس وضغائن ، لسنا عنها غافلين » .

الثاني ـ أوه .. كفى ، كفى سخفا !

الثالث ـ هذا كلام لا يصدر عن أخ صادق الاخوة .

صافي ـ هذا ما أقوله ، ان أخي لا يمكن ان يرضاه .

الاول ـ كنا نرغب لو انه لا يرضاه .. ولكن هل نكذب عيوننا ؟!

الثاني ـ لسنا من الحمق بحيث نكذب ما نرى ونصدق ما كنا نسمع .

الثالث ـ الواقع أوضح من الظنون يا سيدي المهندس .

الاول ـ التهاون ؟ هه .. سبقناهم الى العمل فقالوا تهاونتم وأنتم لا تعرفون كيف يكون البناء ، وحين أبطأنا ...

الثاني ـ .. حين أبطأنا أتهمونا بالحمق واننا لا نفعل شيئا غير أن نلعب البوكر أثناء الدوام .

صافي ـ تمنيت لو أرى رئيس التحرير هذا .

الثالث ـ هل أذهب اليه ألقنه درسا في الملاكمة ؟

الثاني ـ أنا أفضل أن أكسر ذراعه ليرى فوائد الكتابة في الجريدة المسائية .

صافي ـ الفوائد .. فوائد الكتابة .. فوائد الاشياء !! ما فائدة هذا كله ؟ قلنا سنبني قلعة تصل أبراجها الى السماء ولا يبقى بينها وبين القمر الا خطوة واحدة .. ولكن لم نسائل أنفسنا مرة واحدة : لماذا نفعل ذلك ؟

الاول ـ الدوافع علمية .. لا يمكن أن نهمل الدوافع العلمية .

صافي ـ واضراب العمال الاسبوع الماضي ، هل دوافعه علمية ؟

الاول ـ أعتقد يا سيدي ، أن معهم بعض الحق فالاجور منخفضة ، ولكن هذا خير من البطالة .

الثاني ـ ثم ان التقدم العلمي سيكفل لهم حياة فضلى .

صافي ـ هذا ما يقال : حياة فضلى.. ستصير الدنيا قدح لبن، ويتحول البحر الى طحينة . ومع ذلك نرى الاطفال يموتون جوعا ، وآباؤهم يسكنون الكهوف او ينبشون اكوام الاوساخ بحثا عن لقمة طعام .

الثالث ـ في الشرق الاقصى يأكلون الكلاب .. معك حق ، لا معنى لكل ما ينفق على تشييد هذه القلعة .

صافي ـ أن كان له معنى فانه يفقد طعمه في زحمة الحرمان .

الاول ـ على كل .. الانسان ليس معدة فقط .

صافي ـ وليس عقلا أيضا . بالامس بنوا الاهرام على جثث العبيد ، واليوم نشيد قلعتنا على جوع الملايين وحرمانهم .. لولا الخشية لقلت كلاما جارحا .

المساعدون : لا يمكن أن يدري أحد .. كلنا مخلصون لك يا سيدي .

صافي ـ أعلم ، أعلم ذلك .. ولكن اخلاصكم لانفسكم اكثر ، لا تأخذوا كلامي الا على انه رأي .. هواء لا يفعل شيئا .

الثالث ـ لا بد أن نفعل شيئا .

الثاني ـ لا يمكن أن نبقى جامدين .

الثالث ـ أرى أن نتوقف عن العمل ونعلن الحقيقة على الناس .

الاول ـ الان .. بعد أن كدنا نبني البرج العلوي ، ولم يبق بيننا وبين القمر سوى خطوة واحدة ، نعلن انسحابنا ؟! والمصاريف السابقة هل تذهب هكذا .. في الهواء ؟!

صافي ـ لن نتوقف عن العمل . مستحيل . كنا أحرارا في اختيار الطريق فلنكن مسؤولين عما نلاقي فيه . لقد شاركت في هذا الحلم ودافعت عنه ، ورسمت له صورة زاهية الالوان ، ولكن لم أتساءل عمن ينفذ المشروع وكيف يتم تنفيذه . مشينا وعيوننا معلقة الى السماء . أسرتنا فكرة الشعراء عن القمر . كنت دائما أحارب الشعر ولا أعرف الدافع الى ذلك .. حتى توضحت لي الامور .

الاول ـ يا سيدي .. هل نبدأ باسم العلم ونقف باسم الشعر ؟

الثاني ـ .. ثم ان الشعراء مساكين ، لا دخل لهم في القضية من أولها الى اخرها .

صافي ـ مساكين ؟ فصيلة الحالمين هؤلاء هم المسؤولون عن الخطوات الاولى . وطالما جأر أشياعهم من العاطلين :

قد طال في حيه التفكير والسهر اذا بدا قمري لا يظهر القمر

طيب .. تفضلوا ، ها هو ذا القمر قد ظهر !!

الثالث ـ ذكرتني .. يقولون في الامثال : ان من يطيل النظر الى القمر يصاب بالجنون .

الثاني ـ ونحن قضينا العمر نرقب القمر بالمناظير المقربة .

ـ التتمة على الصفحة ٤٥ ـ

تطلب « الاداب » وكتب « دار الاداب »

في البحرين

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبي

القلعـــة

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢٨ ـ

***

الثالث ـ .. لذلك صار جنوننا مضاعفا .

الاول ـ اذن انتهينا بعد المداولة ، الى اننا مجانين جنونـــا مضاعفـــا .

الثاني ـ هذه نهاية منطقية .

الثالث ـ لا يمكن ان نتخلى عن المنطق ولو أغضبنا .

الاول ـ قد تكون نهاية منطقية ، ولكنها نهاية كئيبة .

الثاني ـ كان يجب أن نستخدم المنطق من البداية . انظـــروا في أي موقف حرج وضعتنا بداية خاطئة !

الثالث ـ الاساس الذي قامت عليه هذه القلعـــة ، أســاس منخـــور .

الثاني ـ ولكن يجب انقاذ الموقف .

الاول ـ يجب انقاذ الانسان .. لقد ضاع الانسان في هـــذه الكومة من قطع التبديل .

صافي ـ يسرني انكم ادركتم الوضع على حقيقته .

الثاني ـ في الحرب الاخيرة حكى لي رقيب عن جندي داس على لغم يعمل بالضغط ، وأحس به فيبس في أرضه لا يتحرك ، اذا رفـع رجله مات وان وقف .. مستحيل أن يظل واقفا .

الثالث ـ طبعا .. مستحيل أن يعيش الانسان فوق لغم !!

الاول ـ وماذا فعل ؟

الثاني ـ لا أدري . لان الرقيب أصابته رصاصة في صدغـــه قبل أن ينهي الحكاية .

الثالث ـ أوه .. حكاية معقدة جدا .

الاول ـ لنا أشباه اذن !!

(صمت)

صافي ـ اسمعوا يا رفاق ! سوف نتابع الطريق ونشارك فـــي حصتنا من البناء . صحيح ان نوايانا طيبة ، ولكن في مثل حالتنـــا لا تجدي النوايا الطيبة شيئا . لقد أضمرت لاخي الود والمحبة فـــلم يمنعه هذا من اتهامي بالتهاون والوسوسة ، والحقد والكراهية . انه ما يزال أخي (يشير للجريدة) .. ولا يمكن لعمود من الشتائـــم أن ينسيني الاخوة . انما .. نقطة مازوت جديرة بأن تعكر حوض حليب . ومرارة الحقد لا يزول طعمها من الافواه .

الاول ـ ومع ذلك لا ينبغي أن نستسلم للعاطفة .

صافي ـ هذا ما أفكر فيه أيضا . الاحلام هي عدو العلم الاول ، وملهمه الاول .. لا أدري كيف أشرح الامور فقد شملها الضبـــاب من كل ناحيـــة .

الاول ـ علينا أن نستخلص الخطوات العملية فهل لديك فكـرة ما؟

صافي ـ أرى أولا أن نشيع سر هذه القلعة بين اكبر عدد مـن العلماء والمختصين ، ليعلم بها ملوك الارض جميعا .

الاول ـ سنحاول نسخ الخرائط من الان .

صافي ـ ثم سأبدأ دراسة مشروع لهدمها عند الحاجـــة .. أو اتخاذ احتياطات وقائية على أقل تقدير .

الثاني ـ وآشور .. اذا علم بأمرنا فهل نسلم من بطشه ؟

الثالث ـ هذا ما أخشاه ، ان يعلم بنا آشور . لقد قتل سنمار لانه صرح بقدرته على هدم ما بنى .

الاول ـ فلنكن عقلاء ونسكت حين لا تدعو الحاجة الـى الكلام ، ولنترك الى المهندس صافي تسيير الامور .

صافي ـ حين يشيع بين العلماء سر القلعة ، وتصل خرائطهـــا الى جميع الملوك ، وتتخذ الشعوب احتياطها .. حين ذلك ، أقف على الاسوار وأعلن لاشور رأيي فيه وفي قلعته .

الاول ـ وما فائدة اعترافك ، حين ذلك ؟

صافي ـ سأبرر نفسي .. لا يمكـن أن تشيع عني الخيـــانة دون تبرير .

الاول ـ لا أظنهم يصغون اليك .

الثاني ـ أشتهي أن أرى وجه اشور في تلك اللحظة .

الثالث ـ أما أنا .. فأشتهي ألا يراني أحد في هذه اللحظة .

صافي ـ هه .. الاسوار عالية ، قريبة من القمر !. لم يبق بين الانسان وبين القمر غير خطوة ..

الاول ـ وأظنه سيخطوها .

صافي ـ نعم .. سيخطوها . هذا البائس سيصل الى القمر : بنطلونه مرقع وحذاؤه مثقوب وفي جيبه شطيرة من لحم الثلاب .

الاول ـ دعونا نتابع العمل ، ونتفض أيدينا من هذا الامر المهين .

صافي ـ أوصيكم بالكتمان فما زلنا نعيش في خطر .

الثالث ـ كيف ننسى هذا ؟

الثاني ـ أوه .. أكاد أسمع تكتكة اللغم تحت أقدامنا .

(يعتم المنظر ، ويتركز النور على صورة القلعة قبل أن تسقط الى الارض)

المشهد الخامس

« النادي .. ثلاثة مساعدين واقفين أمام البار يشربون ويتناقشون وفي أيديهم الصحف . اثنان من الفصول يلعبان الورق على منضدة في مقدمة المسرح ، فوقها زجاجات وكؤوس .. المصباح فوق المنضـــدة لفه سحب الدخان »

الفاعل ١ ـ قلت لك معي خمسة آسات .

الفاعل ٢ ـ يخرب ديارك .. خمسة آسات مرة واحدة !! هذا يعني أن معك ورقين .

الفاعل ١ ـ معي ورق واحد .. هل تتهمني بالغش ؟

الفاعل ٢ ـ رح صب على رأسك سطل مـاء بارد .. (يجمع النقـود) .

الفاعل ١ ـ ارفع يديك ، أحسن لك .. خسرت الدق ولن تأخذ قرشا واحدا .

الفاعل ٢ ـ يا صغيري .. دوش ماء بارد أنفع لك من الخمسـة آسات الذي معك .

الفاعل ١ ـ اذا ناديتني « يا صغيري » خطرة ثانية .. قتلتك . حسبتني سكران .. أنا لا اسكر .. ولو شربت برميل عرق .

الفاعل ٢ ـ ولد .. هل نلعب مع أولاد ؟!

الفاعل ١ ـ من الولد ؟.. ولد في بطنك .

الفاعل ٢ ـ هل تبلع لسانك أو أفتح في وجهك دكان قصاب ؟

الفاعل ١ ـ قلت لك خمسة آسات ، ولكنك أعمى لا ترى .. شف !! (يرمي الورق في وجهه) ..

الفاعل ٢ ـ (يجره من ياقته وبينهما المنضدة) لك وجه شيطان، والآس لا يألف وجهك الذي يقطع الرزق .

الفاعل ١ ـ اترك رقبتي قبل أن أبخص عينيك .

الفاعل ٢ ـ سأقطع يد اللص التي تمسك بها آساتك الخمسة .

(تلاصق أنفاهما والاخرون ينظرون بلا اهتمام كأنهم تعودوا .. يدخل المهندس راغب)

راغب ـ أوف .. كلما دخلت النادي رأيت واحدا منكم يمسـك رقبة الاخر . أي نوع من الوحوش أنتم ؟!

الفاعل ١ ـ يا سيدي .. خسرته ولكنه يرفض أن يدفع .

الفاعل ٢ ـ شرب سطل عرق ، فصار يشوف كل الورق آسات .

راغب ـ ابتعد من هنا ، انت وآساتك التي تسبب لي الغثيان .

(يخرجان .. يحاول أن يثبت المصباح الذي أصابته لطمة فهـو يبعثر النور . يجلس الى المنضدة بعد أن يكنس بيده ما عليها ويضع

أوراقا لا يتمكن من متابعة النظر فيها) ..

أي لعنة حلت بي . هدهد سليمان حبسوه مع طير من غير جنسه فكاد ينتحر . وأنا .. كتب علي أن أتعامل مع هذا الجنس الملعون .. فماذا أفعل ؟!

(الثلاثة يدنون)

الاول ـ ليلة الاحد لها جوها الخاص .

الثاني ـ لا معنى للعطلة بلا شرب وقمار .

راغب ـ انظروا اليهما .. احتفظا بكل عادات جدهما الذي هجر الغابة من مليون سنة . هذا النوع من البشر يجعلني أشك في أن أعمل الانسان فرد .. بل حيوان آلعن من القرد .

الثالث (ملطفا) هذه مجرد نظرية .

راغب ـ وهذان برهان على صحتها بلا جدال . ليلة الاحد !! ماذا فعل الاحد حتى نرتكب كل هذه الحماقات في ليلته ؟!

الثالث ـ يتعبون طوال الاسبوع ولا بد لهم من بعض الراحة في نهايته .

الثاني ـ هذا من الفعول الماهرين .. يعمل باخلاص .

الاول ـ .. ويسكر بنفس الاخلاص الذي يعمل به .

راغب ـ نرون أن أنقاضى عن أعمالهم ؟

الاول ـ هذا واقع الحال .

راغب ـ لم يكن من ضمن المشروع أن أتحمل سكر العمال وعربدتهم (بسخرية) واذا عافيتهم ، فهل يعتبر هذا مخالفة صريحة لخرائط القلعة ؟

الاول ـ يجب أن نتقاضى يا سيدي .. من العبث استبدالهم . كل العمال متشابهون : يقامرون ليلة الاحد ، ويسكرون ، ويضربون زوجاتهم .. كل الايدي العاملة سواء .

الثالث ـ ربما سموهم أيدي عاملة لانهم « يعملونها » في أجساد زوجاتهم .

الاول ـ وهذه الحالة نفسها قد استغلها الاخرون للشهير بنا .

راغب ـ ماذا أيضا ؟! هل أتهمونا بأنا نمنع العمال من ضرب زوجاتهم ؟

الاول ـ الاضراب الاخير أيدته الورشة الثانية . وصرح المهندس صافي بأنه في جانب عبيد أشور .

راغب ـ عبيد أشور .. ما زال مولعا بالتعابير البليغة ؟

الاول ـ واعتبر حالتهم من السوء بحيث لا يمكن مقارنتها بعبيد الفراعنة .

راغب ـ هل في كمه لعبة ما يريد أن يلعبها ؟

الثاني ـ وزعوا بين العمال منشورات تحض على الاضراب ، وتدعو الى التضامن .

راغب ـ التضامن .. التضامن من شان ايش ؟

الثاني ـ المنشور غامض ، ولكن علمت انهم أعدوا خطة وقائية ضد القلعة .

راغب ـ وهل القلعة تسبب العدوى ؟

الثاني ـ انتهوا بعد مجادلة عنيفة الى انها خطر على السلم ، وتهديد لامن الانسان . وشكوا في الدوافع التي دعت الى تنفيذها . ووصفوها بأنها غير علمية .. بل اكثر من هذا ، بأنها خيالية وحلم من أحلام الشعراء .

راغب ـ هل قالوا انها أحلام شاعر ؟

الثاني ـ وقد استشهدوا بالشعر وضربوا الامثال، وشبهها احدهم باللغم القابل للانفجار في كل لحظة .

راغب ـ اذن .. دب الادب في هذه المنطقة من العالم ايضا !!

الثالث ـ أتهموا الدوافع بأنها « غير علمية » كأن مناقشتهم هذه علمية !!

الاول ـ والمهندس صافي دافع عن فكرته بأن العلم انما وجد ليرفع من مستوى العمال ، ولكنه لم يفعل ذلك ..

الثاني ـ فكرة ماكرة .. ترضي الغوغاء الذي لا ترى أبعد من أنفها .

الثالث ـ وهي خطرة ايضا .. لانها تتبع المنطق الذي يفهم العمال به الامور .

راغب ـ وأخي .. هل فرضوا عليه المناقشة ؟ أعرفه يحب المسايرة .

الثالث ـ المهندس صافي ؟! كان يقود المناقشة بنفسه وقد وصف الانسان المعاصر بأن رأسه ناض ومعدته مليانة بلحم الكلاب .

راغب ـ لهت من التعب . كلهم يلهثون من التعب . لا تنهض بالمشاريع العظيمة الا نفوس أشد عظمة منها . يلهثون ولا يجدون الجرأة على الاعتراف بذلك . ولكني ألمح السنتهم المتدلية وراء منشوراتهم الصفراء ، أسمع نباح اليأس بين كل هذه الضوضاء .

الاول ـ نصبوا أنفسهم محامين عن الانسانية دون استشارتها .

راغب ـ الانسانية !! أنا أجدر الناس بالدفاع عنها . وشعري هذا هل شاب سعيا وراء النساء ؟ منحت شبابي ودم قلبي هذا المشروع لارقى بالانسان ولو خطوة واحدة ، فيأتي رجل من غمار الناس ليقول لك : دوافعك غير علمية فانت لا تطعم الجائعين . العلم هو الاول والمنتهى ، هو الغاية والوسيلة . وجوده مثل وجود الله .. لا يمكن تفسيره .

الاول ـ يريدون المغانم السريعة .

الثاني ـ البحث كالغيب .. هل يعلم انسان ما يخفي الغيب ؟

الثالث ـ ولكن الاجيال القادمة ستستفيد من ابحاثنا بلا جدال ..

الاول ـ لو سمعتم الشتائم التي قذفوا بها الاجيال القادمة (لراغب) وقد استغلوا حياتك الخاصة أسوأ استغلال . أنت أعزب ، واعراضك عن الزواج اعتبروه اهمالا للاجيال القادمة التي لا تملك ذرية فيها .

راغب ـ وهل درسوا دوافعهم العلمية حتى بين المرء وشهوته ؟!

الاول ـ اذا بدأ المرء بداية خاطئة فلا يعلم غير الشيطان أين ينتهي .

الثاني ـ عجيب والله .. يحتار الواحد كيف يعمل .

الثالث ـ عجيب هذا المنطق الذي يتلوى مثل الدودة بين أصابعهم .

راغب ـ اتخذوا جانب الجمال من عبيد المعدة فلا تعجبوا لهم . انما أشيد هذه القلعة من أجل حياة مثلى . بالامس حول البحث العلمي الدهماء الى ملوك . كان حفاة الصحراء يمشون فوق بحور من البترول ، جمالا عطشى وفوق ظهورها الماء . وجاءت اليوم أجيال أخرى من الحافين نجار : بحق الله توقفوا عن البحث وأطعمونا .

الاول ـ هذه هي المسألة التي ارتكزوا عليها ، وبها ادعوا ان القلعة عمل مهين .

راغب ـ عمل مهين ! دعوني أحمل أوزار القلعة وخطاياها . على كتفي هذين أشيل هذا العمل المهين (يدق على كتفه الايسر) وأنت يا ملاكي العزيز . غط ريشتك في حبر الكوبيا وسجل : اني من الان وقبل أن أولد بألف سنة وبعد أن أموت بألف سنة مسؤول عن هذه القلعة (للمساعدين) مجنون يحدث الملائكة ؟ لن أفقد عبقريتي حتى في أشد نوبات الجنون . اذا فقدوا الامل ، ويئسوا من مستقبل العلم فليكن ذلك باسم اخر غير حب الانسان .

الاول ـ الحب ؟ هذه الكلمة تفقد معناها على ألسنتهم .

الثاني ـ انه الحقد .. لقد آذى نفوسهم أن يروا هذه القلعة تعلو كأنما بنيت فوق صدورهم التي سودها الحسد .

الثالث ـ ليس غريبا أن ينقلب حبهم الاول الى حقد شديد ، فليست هذه أول مرة ينهزم الحب فيها أمام شهوات النفوس .

الاول ـ الامر أكبر من الحب والبغضاء . حين يخير الانسان بين الفناء والخلود يدوس كل شيء في سبيل الخلود . واضح ان هذه القلعة ستخلد اسم بانيها الى اخر الابد .

الثاني ـ وهم .. ألم يشاركوا في البناء ، فقد شاركوا في الخلود .

الاول ـ كانوا تابعين والتاريخ لا يزحم ذاكرته بقائمة من الاسامي. لا بد من اسم واحد يقترن بعمل واحد .

الثالث ـ فهمت خطتهم .. لن يخلد اسمهم في بناء القلعة فأرادوا أن يخلد في هدمها .

الاول ـ (لراغب) لا تؤاخذني اذا قلت لك : أخطأت حين شاركت الاخرين في بناء القلعة .

راغب ـ نعم ، أخطأت .. ان قاعدة أعدت لتمثال واحد ، لا يمكن أن يقف عليها تمثالان ..

الاول ـ الا ، اذا وقف أحدهما فوق الاخر .

الثاني ـ ستكون ، حينئذ ، مهزلة وليست تخليدا .

راغب ـ لن أتزحزح ولن أجعل قامتي السفلى ، وليكن أسوأ ما يكون .

الثالث ـ ولكن المهندس صافي يحرك قدميه ليستولي على اكبر قدر من المساحة .

الثاني ـ لقد هدد بأن يكسر لك فكا أو ذراعا .

راغب ـ يكسر ذراعي ؟

الاول ـ .. قال ليعلمك كيف تستعمل الشاقول .

راغب ـ أخي قال ذلك ؟..

الاول ـ تصوروا يقول أخي بعدما حدث .. هذا افراط في طيبة القلب .

راغب ـ من جاءك بهذه الاخبار ؟

الاول ـ الحمامة .. تعرف الحمامة ؟ (يهمس في أذنه)

راغب ـ طيب .. احتفظ بهذه الحمامة ، ولكن لا تجعل منها نسرا في احد الايام .

الاول ـ اطمئن يا سيدي .. (يفرك اصبعين اشارة للنقود) فانا اقلم مخالبها بين حين واخر .

راغب ـ (يتجول كأنه محاصر) .. انقذونا من لفم سينفجر بنا.. اطعموا العمال ، وتصدقوا على البائسين ، ارحموا عبيد آشور يا محسنين . اتخذوا التدابير الوقائية خشية العدوى !! فات الاوان وانتشرت العدوى حتى نخاع عظامهم . لم يبق وقت للتراجع .. اما ان يسيروا او ينتحروا . واخي وراء هذا كله ؟! سأودع الى الابد اخي الذي احببته وشاركته حياتي . لن اعرف بعد الان أخا لي يدعى : صافي، ولكن مهندسا حسودا ، ابرز نابه ومخلبه واسرع ينهش في جيفة يسمونها : الخلود . سبكسر يدي دفاعا عن فريسته ، وربما قتلني . غرتك نفسك يا صافي . سأقتلك قبل ان تجرؤ على نقض حجر واحد من هذه القلعة . (صمت)

الان ادركت لماذا حرم آشور علينا اللقاء .

الاول ـ هل ندس له واحدا يقتاله ؟

الثاني ـ هذه طريقة بدائية .. الاحسن ان نفضحهم في الصحف. اليوم سأكتب افتتاحية تجعلهم يرتجفون عارين .

الثالث ـ ارى ان نتجاهل الامر حتى نطلع على مزيد من الحقائق .

راغب ـ هيا .. دعونا نتابع العمل ، وننتهي من هذا المشروع .. فأنا مشتاق الى لقاء أخي .. أخي العزيز .

المشهد السادس

« آشور . الوزير . الخطيب ثم راغب . صافي . حرس »

« تسمع من بعيد موسيقى الاحتفال، وهي ترافق هذا المشهد حتى تغدو صاخبة في نهايته » .

آشور ـ ايه .. ما كل هذا ؟ هذا كثير يا وزير ..

الوزير ـ (ينحني) كل كثير قليل بجانب همة مولاي .

آشور ـ تدخل علي تضحك وانت لابس الابيض ، واليوم اول النيروز ! !

الوزير ـ كل الارواح ترف ابتهاجا بهذا اليوم يا مولاي .

آشور ـ .. ربما تعطرت ايضا . (يشمه) يا احمق !! هل ترى روحك لطيفة حتى تثقلها بكل هذه العطور ؟! اول النيروز وانت متعطر ، ضاحك ، لابس الابيض !!

الوزير ـ أشارك الارض بهجتها يا مولاي .

آشور ـ ليست قشرة اذن .. مبتهج ، مبتهج حقا ؟!

الوزير ـ هذا اليوم الاغر يلوح في سماء اعمالك كأنه نجمة الصباح المشرقة .. الشعراء بالباب فهل ادعوهم ؟

آشور ـ وتدعو الشعراء ؟

الوزير ـ نعم ، ليشاركوا في تمجيد آشور العظيم .

آشور ـ الشعراء !! احضرت طبول الكلام اذن !!

الوزير ـ طبول الكلام .. لن تسهو عن اهمية الطبول هذه الايام ، يا مولاي !

(تنفرد طبول في العزف)

آشور ـ لا .. اعرف اهميتها ، تملأ الجو بفقاعات الهواء . ينقصنا الشعر والموسيقى في اول النيروز !!

الوزير ـ وقد حضرا اليك جميعا .

آشور ـ كم طبلا في الباب ؟

الوزير ـ سبعة .. كلهم من فرسان البيان .

آشور ـ ومن الطنابير ..؟

الوزير ـ تقصد النثر ؟.. طنبور واحد .

آشور ـ ادخله .. وليكن خافت الصوت ، قصير النفس ، لا يشير باصابعه كأنما يزيد ان يقتلع بها عين انسان ما .

الوزير ـ ولكن .. طيب .. عندي واحد ، وعيبه انه اهتم ، يتمغم في الكلام .

آشور ـ وهل تعد هذا عيبا ؟. ادخله دون تأخير .

(يسرع الى الباب ويدخل الخطيب فيقف على كرسي عال في صدر المسرح .. لا يقول شيئا بل يمسك صوته بنباح اجش ويشير بأصابعه) .

الوزير ـ هل ارضيتك يا مولاي ؟

آشور ـ رضيت عنك، لولا هذا العطر .. العطر الملعون . العطر والشعر والموسيقى واول النيروز . هذا اول يوم من فصل الحب ، اول النيروز .. هل فهمت أم ان عقلك ما يزال مشغولا بفرسان البيان يرمحون وراء الباب ؟

الوزير ـ (تبوغ فرحته) اول النيروز ؟ اذن .. اول النيروز .

آشور ـ (بسخرية) نعم ، اول النيروز . يعني انتهت اجازتك يا وزير الزمان . اول النيروز .. ولم تحص الداخلين سن الخامسة عشرة ، ولا عينت المواقع الظليلة في الحدائق العامة ، ولا عرفت عدد اعضاء الجمعيات النسائية ، ولا ضيوف الشرف في حفلات «الكوكتيل» !! وهل بريت سهامها ؟ بل لعلك مارقمت جعبة السهام التي انخرقت من اول الموسم الماضي .

الوزير ـ خسارة .. اول مرة بعمري البس الابيض ولا انهنأ به . دائما كنت اتشاءم من الابيض ولا اصدق نفسي ، حتى اصابني شؤمه .

آشور ـ هذا حال الدنيا .. ماذا تفعل ؟ مهمة شاقة لست اول من قاسى منها . انظر الي مثلا .. كان يجب ان تحزر سبب حزني دون ان انخزك . النخز دائما . اينما انوجد ارى شيئا يلزمه النخز .

الوزير ـ كنت احسبه يوما شاذا ، ليس كبقية الايام .

آشور ـ ولم لا يكون كبقية الايام ؟ ألان احد الاغبياء بنى قلعة تريدنا ان نترك اشغالنا ونتفرج عليه ؟

الوزير ـ ولكنها عمل هائل شارك في بنائه جيل من البشر .

آشور ـ .. وانت معجب به أيضا ؟

الوزير ـ هل انكر عبقرية المهندسين ؟ انا اعرف زبائني .. قلت لك من الاول انهما عبقريان ولم تصدقني .

آشور ـ (صامت ، ينظر باستخفاف) اسمع .. لمن بنيا هـذه القلعة ؟

الوزير ـ لك يا مولاي .

آشور ـ ومن حرضهما على ذلك ؟

الوزير ـ أنت يا مولاي .

آشور ـ ومن حشد لهما المساعدين ؟

الوزير ـ أنت يا مولاي .

آشور ـ ومن ساق اليهما الفعول ؟

الوزير ـ أنت يا مولاي .

آشور ـ ومن نحت لهما الجبال ؟

الوزير ـ أنت يا مولاي .

آشور ـ ومن طرد عنهما اليأس ؟

الوزير ـ أنت يا مولاي .

آشور ـ ومن دفع اليهما الامل ؟

الوزير ـ أنت يا مولاي .

آشور ـ أذن ، من بنى القلعة ؟

الوزير ـ أنت يا مولاي .

آشور ـ فمن منا العبقري اذن ؟ (يدق صدره بقبضتيه) انـا يا مولاي ، انا يا مولاي .

الوزير ـ .. أنت يا مولاي ، ولكن ..

آشور ـ لا « لكن » بعد الان .

الوزير ـ سامحني اذا قلت لك أنهما خدعاني بطريقة لا احسن وصفها ، ولكنهما .. كانا منكبين على رؤية المشروع شامخا وقد رأياه .

آشور ـ رأيا المشروع .. رأياه ؟ (يضحك .. يعلو نباح الخطيب الاجش . يلتفت آشور اليه مغضبا) .. لقد رأياه . وهـل تحسبني ابله لاكون مطية مهندسين من ابناء الكهوف .. الكهوف الرطبة ؟!

الوزير ـ لا احسبك .. وهذا ما حيرني .

آشور ـ رأيت تشدق الاول بالسلام وبناء الحضارة ، ورخاء الانسان ، وكل هذه الكلمات التي يعرق لها الجبين ؟.. هذه مطامح ، والمطامح يلزمها التنفيذ ، ولو حصل التنفيذ لوجب عليّ ان ألم متاعي وانتقل الى الجحيم . لو نفذوا لارتديت حضرتك الابيض طوال العمر ، وشممت الريحان واطربتك القيان ، ودخل عليك الشعراء يصهلون .

الوزير ـ آه . الان فهمت لماذا طردوك من الفردوس .

آشور ـ لم يكن طردا بالمعنى المتداول . كانت مهمة ركبتني ، وكان وجودي ضروريا هناك . فلما اشعلت النار في الهشيم ، وتلهبت الكتلة الباردة التي عجن الله طينها بأصابعه ، أنزلوها الى مملكة الحركة . وكان علي ان ارافقها كما يرافق المهندس الآلة الجبارة يدفعها الى العمل كلما توانت .

الوزير ـ لم اكن اعلم انك على هذا القدر من الاهمية .

آشور ـ .. وقد تحير الانسان في تعليلي ..

الوزير ـ طبعا .. شيء يحير .

آشور ـ .. رآني اول الامر افعى لان رغبته اتجهت نحو النسل والاخصاب ، وحين اتعبه النسل لعنني لاني حرضته عليه .

الوزير ـ يا له من جاحد لئيم !

آشور ـ كما اقول لك .. ان الانسان قد تتغير ازياء ملابسه ولكنه دائما يحكه شيء في صدره . شيء ما .. له قرص البرغوث وما هو برغوث .

الوزير ـ .. له قرص البرغوث وما هو برغوث !!

آشور ـ وهذا الشيء يفسره بحسب حالته . فان كان يائسا وفقد الاتصال مع السماء سماه التاريخ . وان كان اكثر يأسا وتشاؤما دعاه غضب الله وضلال الشيطان .

الوزير ـ وهو في الحقيقة نفس البرغوث ؟

آشور ـ نفس البرغوث الذي نزل معه من الفردوس .. وهكذا ترى مهمتي الشاقة ، يجب ان اعمل وانا اتحمل اللعنات .

الوزير ـ لو كنت مكانك لانسحبت .. ما هذه الصفة ؟!

آشور ـ لا اريد ان ابالغ في اهميتي ، ولكنك لا تعرفني على حقيقتي .. لو انسحبت لوقفت الآلة وتعطل كل شيء .. لو طار البرغوث ..

الوزير ـ .. لوقفت الآلة وتعطل كل شيء (يعيدها لنفسه) لو طار البرغوث لوقفت الآلة وتعطل كل شيء .

آشور ـ نعم ، يتعطل كل شيء . سكان الفردوس لا ارادة لهم فهم لا يكافحون ضد أي شيء ، لا توجد عقبات فلا يوجد كفاح ثم .. لا توجد ارادة . هل تفهمني ؟

الوزير ـ قليلا .

آشور ـ حسنا .. فانا لا اقول أشياء كثيرة .

الوزير ـ لو نظرنا الى طريقتك في العمل لامكن تشبيهك بالمخرز .

آشور ـ تماما .. وليست مهنة مشرفة ان تكون مخرزا ، وربما زل لسانك وناديتني : جلالة المخرز .

الوزير ـ لا يمكن .. مستحيل .

آشور ـ ليس مستحيلا .. أنا ادعو نفسي بهذه الالقاب بعض الاحيان . اوكلوا الي امر الآلة وعلي ان اطعمها طوال حياتها .

الوزير ـ اوه .. يا لك من مهندس بائس عظيم .

آشور ـ هل فهمت سبب حبي للهندسة وأشفاقي على المهندسين؟

الوزير ـ أولاد صنعة يا مولاي . (يبتسمان .. نباح الخطيب يرتفع .. يصفيان قليلا ثم يصفقان ويساعده الوزير على النزول) .

آشور ـ لا .. مدهش حقا !!

الوزير ـ ولكن صوته خافت قليلا .

آشور ـ هكذا احسن .. فانا لا احب الضوضاء .

(الوزير يقود الخطيب الى الباب وقبل ان يفتحه يسمع صوت من ورائه) .

الصوت ـ دعني اقابله .

حارس ـ ممنوع .

الصوت ـ قلت لك يجب ان اراه .

حارس ـ ممنوع .

الصوت ـ يجب ان اراه الان .

حارس ـ لا يسمح لاحد بالدخول عليه في مثل هذه الساعة .. انتظر مع هذه الناس .

الصوت ـ لست مثل هذه الناس .

حارس ـ ومن تظن نفسك ؟

الصوت ـ قل له المهندس : راغب ، وسوف ترى .

حارس ـ لن اقول له ولن ارى . ممنوع .

آشور ـ صاحبك بدأ يزأر .

الوزير ـ برغوثه العتيق يقرصه ويدفعه الى الزئير .

آشور ـ ادخله علينا لنرى .. صار لي زمان ما شفت مهندسا يتلوى من قرص البراغيث .

(يدخل راغب ، وهو الان قد ازداد كبرا ، وابيض شعره . الخطيب يخرج . تعلو الموسيقى ، ثم تخفت حين يغلق الباب) .

راغب ـ (ينحني) سلام على مولاي الملك .

آشور ـ آه .. المهندس راغب . كبرت واسرع الشيب الى شعرك .

راغب ـ في خدمة سيدي .

الوزير ـ الشيب المبكر دليل العبقرية .

آشور ـ سأقر بعبقرية مهندسك ، فان قلعته تستأهل ما أنفق في سبيلها . والذي يحزنني انها بنيت بسرعة ، والبناء لا يولد في النفس

رهبة اذا انجز في وقت قصير .

راغب ـ هذا يشهد بقدرتك ومهارة عمالك .

آشور ـ أين المهارة من قولهم : استغرق بناؤها سبعين عاما ، وتعاقب على بنائها اربعة ملوك ؟

الوزير ـ لا تلمه اذا جرى ، فقد كان في الطرف الاخر من القلعة أخوه ، وهو مشتاق الى لقائه .

آشور ـ أخوه .. صحيح ، أين اخوك ؟

راغب ـ (يبتسم بمرارة) أخي !! مشغول .. مشغول في البحث عن اسرع وسيلة لهدم هذه القلعة .

آشور ـ (يضحك) اوه .. سيهدم القلعة . تأخر في الندم كثيراً . الا تراه تأخر يا وزير ؟

الوزير ـ (لراغب) هل تعني انه امسك معولا وانحنى يحفر في أساسها ؟

آشور ـ (ضاحكا) أه . أه . كم اشتهي ان اراه وهو يحفر في اساسها . سيبدو . أه . أه ، سيبدو مثل فأرة تقرض الجبل لكي .. أه . آه (يعبس فجأة) شيء مؤلم ، مؤلم حقا ان تكون هذه (يشير باصبعه الى صدغه علامة الجنون) نهاية مهندس نابغة مثله .

راغب ـ ليس الامر كما تظن يا مولاي . انه عاقل ، بل يزعم انه اعقل منا جميعا .

الوزير ـ هذه حال من يصاب في عقله ، يقف على رأسه فيرى العالم مقلوبا .

راغب ـ ولكنه واقف على قدميه ويحاول ان يرى العالم مقلوبا (ينشر ورقة كبيرة) انظر ! هذه نسخة من خرائط القلعة . هو عازم الان على طبع آلاف منها ونشرها في انحاء الارض .

الوزير ـ يريد ان يعيد قصة سنمار ؟

راغب ـ يا ليته اعادها !! فان سنمار احتفظ بسره لنفسه . اما هذا فيريد ان يعلم سرها حتى الفلاح وراء محراثه .

الوزير ـ أوه ، هل فعل هذا حقا ؟

اشور ـ مجنون .. ويريد ان يعدي بجنونه الاخرين . احضروه الي .

حارس ـ مهندس اخر يطلب الدخول يا مولاي .

آشور ـ ادخله .. جاءت الحماقة الينا تسعى .

راغب ـ بل الخيانة يا مولاي .

(يدخل صافي ، وهو هرم ايضا)

اشور ـ ايه .. الخرائط ماشي سوقها ؟ بالجملة ام بالمفرق تبيع الفلاحين ؟

الوزير ـ يبيعهم على الموسم .. كل خريطة بكيل شعير .

صافي ـ (لاخيه) كيف أنت يا راغب ؟ كبرنا وغيرتنا الايام ..

راغب ـ نعم ، كبرت ، كبرت .. كل من اراه يقول كبرت . اطمئن فان انيابي سليمة ما نخرها السوس .

صافي ـ انيابك !!

راغب ـ واظفاري أيضا . في هذه الغابة لا بد للمرء من انياب واظفار ليأمن لدغ الافاعي .. انظروا اليه كيف دهش كأن الذي يحاول قتلي شخص غيره .

صافي ـ أنا أحاول قتلك يا راغب ؟

راغب ـ يا صافي .. قلها مرة ثانية بمثل هذا الحنان وانا مستعد ابكي على كتفك . الا تحاول هدم القلعة ؟

آشور ـ (لصافي) لم تقل لي لماذا توزع الخرائط على الفلاحين.

صافي ـ وماذا يفعل الفلاحون بالخرائط ؟

آشور ـ أنا اسألك فجاوب ولا تتفاءل .

صافي ـ عندي نسخ الخرائط وما وزعتها على احد .

راغب ـ سمعت يا مولاي) عنده نسخ الخرائط ولكن فاجأناه قبل ان يوزعها .

آشور ـ تخونني في اخر لحظة ؟

صافي ـ لم اخنك ولم اخن احدا غيرك . طلبت الي بناء نصف القلعة وقد بنيت لك نصفها .

راغب ـ ثم ندمت .. فتريد أن تهدمها كلها . هل لعملك هذا اسم غير الخيانة ؟!

صافي ـ نعم .. ندمت . حين رأيت كل هذه القوة تسخر من أجل الحرب وفناء الانسان .. ندمت .

آشور ـ اتشارك في بناء قلعة بمثل هذه العظمة ثم تقول ندمت ؟

راغب ـ لقد دهش .. مثل دجاجة باضت نسرا .

صافي ـ .. والنسر يحلق فوقنا يهدد بابتلاعنا في كل حين .

اين الانسان .. هل انقذته من حالة الحصار ؟

هل وفرت له الامن الذي هو اساس الحضارة ؟

هل كسر المتحاربون سيوفهم وصنعوا منها مناجل ومحاريث ؟

راغب ـ اوه .. ها انذا اعترف اني مدهوش لبلاغتك . اذا يئست من العمل فقل : اني يئست . او كنت صاحب الفكرة لرأيت فوائدها . وما جلست تصيد التعابير البليغة تقفز حولك كالفئران .

صافي ـ لقد صعدوا على اكتافنا يا راغب .

راغب ـ صعدوا .. قامتي اذن ، عالية جدا حتى يمكن الوصول بها الى ذلك الارتفاع .

صافي ـ .. ولكنها كانت السفلى .

راغب ـ قامتي ليست السفلى . انني الاعلى .. انني الاعلى بهذه القلعة التي ستخلد اسمي الى الابد .

صافي ـ لن يخلد اسمك ، فالقلعة لن تبقى

راغب ـ ستهدمها انت .. هاه ؟ قلبك اكله الحقد .. اعماك الحسد !! ستهدمها .. (ينتزع حربة احد الحرس ويطعنه) لن تعيش لترى ذلك . لن تعيش لتهدمها .. لن تعيش .

(صافي يتشبث بستارة النافذة ثم يقع وتغطيه الستارة .. صمت قصير) .

راغب ـ صافي .. صافي أخي . هذا هو الشوق الذي ادخرته لك عشرين سنة (ينتحب) نعيش على امل اللقاء بي ثم اقتلك يوم اللقاء . أحببتك .. واحببت علمي اكثر منك . اشتهيت ان ارى القلعة امام عيني ثم ليفعل بي الشيطان ما يشاء .. صافي ! لقد فعل الشيطان بي ما شاء . (يفتح صدره للحرس) اقتلوني ، اقتلوني ! (يشيرون للوزير .. يخاطب الوزير) اقتلني ، اقتلني ! (يشير لآشور .. يخاطب آشور) اقتلني كما تقتل حيوانا عجوزا لا فائدة منه . بنيت لك القلعة وقتلت لك أخي فلم يبق الا ان تقتلني .. اقتلني ماذا تنتظر ؟ (صمت .. يقطعه ضحك آشور الهادىء)

آشور ـ (للوزير) أه . أه . هل نصنع منه شهيدا يا وزير ؟

الوزير ـ ولكن .. نحن لا ننتج هذا الصنف من البضائع يا مولاي !!

آشور ـ (لراغب) أرأيت ؟ سوق الشهداء كاسدة هذه الايام .

راغب ـ يا لك من ملك طماع لعين !! لم يبق الا ان اقدم لك روحي في ورق ملون . خذها .. غير مباركة عليك . (يريد ان يرمي بنفسه من الشرفة فيمسكه الحرس) .

آشور ـ الى أين ؟ جريمتان في وقت واحد !! اترك لنا الفرصة لنحقق فيك العدالة ولو مرة واحدة في العمر .. ارموه في السجن حتى نرى ما يكون .

(اطفاء سريع)

المشهد السابع

(الاضاءة تعود الى المشهد الاول ، ولكنها ضعيفة ، والظلام لا يسمح بتمييز الاشخاص . الضوء من الكوة يمر بتناوب كأنوار كاشفة . صوت المرأة حاد متمزق ، كنذير مأساة .. ظلالهم تنعكس على الجدار) .

صوت امرأة ـ أين نحن ؟

صوت رجل ١ ـ هل قتلوه ؟

صوت رجل ٢ ـ أظنهم قتلوه .

صوت امرأة ـ لا تتحدث عن القتل .. قلبي يدق في أذني مثل صوت الطبول .

صوت رجل ١ ـ خلونا نخرج .. هذا المكان خانق (يسعل كأنه يختنق) .

صوت رجل ٢ ـ كأني مخدر .. رأيت حلما ثقيلا . رأيت مهندسا له وجه قبيح يقتل أخاه .

صوت امرأة ـ لا تتحدث عن القتل .. قلبي يدق في أذني مثل صوت الطبول .

صوت رجل ١ ـ خلونا نخرج .. هذا المكان خانق ، كأنهم فجروا فيه غازات سامة .

صوت رجل ٢ ـ سأختنق .. (يسعل) رئتي تتناثر على كفي .. أحس برئتي تتناثر .. هذا الحبس لا يدخله النور .

صوت امرأة ـ لا تتحدث عن الاختناق .. قلبي ينفجر وهو يدق ، هل تسمع صوت الطبول ؟

صوت رجل ١ ـ خلونا نخرج من هذا المكان .. هذا القبر ، قتلوا فيه ملايين البشر ولم يغيروا منه الهواء .

صوت رجل ٢ ـ آي .. يدي غطست في الدم .. حيطان هذا القبر ترشح بالدم .. هذا القبر حيطانه من دم .

صوت امرأة ـ لا تتحدث عن الدم .. قلبي يغلي بالدم .. احس أموت ، هل تسمع غليان الدم ؟

صوت رجل ١ ـ أين الدليل ؟ .. هل رأيتم الدليل ؟

صوت رجل ٢ ـ هرب الدليل .. خاف الدليل . تسلق الدرج مثل حشرة قذرة وهرب .

صوت رجل ١ ـ لم يهرب .. لم يهرب ، لم يره احد منا يهرب ، ربما سبقنا الى اعلى .

صوت امرأة ـ هذا الجبان .. كيف يسبقنا الى اعلى .. كيف يتركنا ويهرب ؟!

صوت رجل ٢ ـ لقد هرب .. ألم تر انه احمق ، مفتون بشارته المعدنية !!

صوت رجل ١ ـ كل ما فعله أنه سبقنا الى اعلى .. لا يمكن ان يتركنا دون مساعدة .

صوت رجل ٢ ـ ايها الدليل .. أيها الدليل الجبان ، عليك اللعنة.

صوت امرأة ـ أوه .. لا تلعن في الظلام . حرام أن تلعن في الظلام . كل الظلام تجمع حولنا وفي قلبي .. قلبي ينبض بدم متخثر اسود . آه .. اموت .

صوت رجل ١ ـ كفي عن النواح !

صوت امرأة ـ آه .. أموت .

صوت رجل ١ ـ كلنا نموت .. ولكن لا تقولي هذا في وجوهنا .

صوت رجل ٢ ـ أيها الدليل اللعين .. ايها الدليل الجبان !! انزلق فوق الدرج مثل حشرة لزجة وهرب .. الجبان .

صوت امرأة ـ نادوهم .. قولوا لهم انا هنا نموت .. افعلوا شيئا .

صوت رجل ١ ـ قلت لك كفي عن العويل .

صوت امرأة ـ أموت .. افعلوا شيئا ، ادعوا اصحاب هذا المكان.

(بصوت عال) يا اصحاب هذا المكان ، انتم يا جالسون فوق ، في اعلى .

صوت رجل ٢ ـ لا تبحي صوتك .. لن يسمعك احد .

صوت امرأة ـ اني اموت ..

صوت رجل ٢ ـ خير لك ان تموتي وصوتك غير مبحوح .. ستحتاجين الى صوتك لتلعني به .

صوت امرأة ـ ابتهلوا معي اليهم .. دعوهم ينقذوننا .. اضرعوا اليهم .

صوت رجل ٢ ـ لن اضرع الى احد .. لا يوجد احد حتى تضرعي اليه . من الحماقة ان تضرعي الى لا شيء .

صوت رجل ١ ـ اهدئي .. الان يعود الدليل .

صوت رجل ٢ ـ لن يعود الدليل .. انه جبان ، والجبان يهرب ولا يلتفت وراءه .

صوت رجل ١ ـ قلت لك لم يهرب .

صوت رجل ٢ ـ اذن انتظر .. انتظر الهواء .. انتظر لا شيء .

صوت رجل ١ ـ قلت لك سيعود .

صوت امرأة ـ أوه .. اتركوا الخصام .. افعلوا شيئا ، لا يمكن ان نترك هنا نموت .

(صمت)

صوت رجل ٢ ـ هل سمعتم حفيفا اسود ؟ انه الموت ، دخل هذا الحبس ولن يخرج منه وحيدا ، سيرافقه احدنا ..

صوت امرأة ـ أوه .. خائفة .. انا لا يمكن أموت .

صوت رجل ١ ـ لن يموت احد .. كلنا سنحيا ..

صوت رجل ٢ لا بد أن نموت واحدا بعد الاخر .. وسنكون انت أول من يموت .

صوت رجل ١ ـ ماذا تعني ؟

صوت رجل ٢ ـ لن اتركك تغافلني .. سأفتك بك قبل ان تقتلني.

صوت امرأة ـ أوه .. لا تتحدث عن القتل .. قل سنحيا .. قل سنحيا .

صوت رجل ١ ـ قلت لك سأحيا ..

صوت رجل ٢ ـ بل ستكون اول من يموت .. ان اتركك تفعل كما فعل المهندس ، لن تعيش ولا يوما واحدا على جثتي ..

صوت رجل ١ ـ آه .. عرفت ما تفكر به . تريد ان تغافلني لتأكل لحمي ، وتشرب دمي !! يا ضبع .. يا نجس .. يا آكل الجثث ، يا نباش القبور !

صوت امرأة ـ آه .. يتناهشان كالذئاب . افعلوا شيئا يا اصحاب هذا المكان . ارسلوا بريقا من النور . لا تتركوا قلوبنا العمياء في الظلام .. ابتهل اليكم ، اعطونا اشارة واحدة تعيد النور الى قلوب حاصرها الظلام .

(صوت اختصام .. الرجلان يتعاركان ، والمرأة تنوح)

صوت علوي ـ انظروا الينا .. انظروا الى اعلى ، فمن هنا يأتي النور .

الجميع ـ نحن ننظر الى اعلى .. أين النور ؟

صوت علوي ـ انظروا الينا .. ارفعوا رؤوسكم الى اعلى ، فمن هنا يأتي النور .

الجميع ـ نحن ننظر اليك .. أين أنت أيها النور ؟

صوت علوي ـ من هنا يأتي النور ..

الجميع ـ اهدنا أيها النور .. دلنا عليك ايها النور ، اهدنا الى النجاة ، ايها النور .

صوت علوي ـ تعالوا الينا .. الى اعلى انظروا .

الجميع ـ نحن ننظر اليك .. اهدنا الى الطريق .

صوت علوي ـ انظروا الى اعلى .. حين تسيرون لا ترفعوا اقدامكم ، وانظروا الى اعلى .

(ظلالهم على الجدار وهم رافعون ايديهم يبتهلون .

الصوت يردد : انظروا الى اعلى ، فمن هنا يأتي النور) .

ستار

نديم خشفة